

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٢٠ في سائر الممالك الأخرى

عن العدد ١٥ ملياً

الاهتمامات

يتفق عليها مع الإدارة

المجلة

بجهد الدكتور محمد عبد الوكيل والعلامة والفنانه
العلمية والفنية

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها السئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٥١٢ « القاهرة في يوم الإثنين ٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٦٢ - الموافق ٢٦ أبريل سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

٩ - دفاع عن البلاغة الأسلوب

لعل ما عرضته عليك من إجمال القول في البلاغة كان توطئة لتفصيل الكلام في الأسلوب . ذلك لأن الأسلوب هو مظهر الهندسة الروحية لهذه الملكة النفسية ، يبرزها للعيان ، ويصل بينها وبين الأذهان ، وينقل أثرها المضمحل إلى الأغراض المختلفة والغايات البعيدة . وكتب البلاغة في لغتنا لم تكن إلا بالجل وما يعرض لها في علم المعاني ، وإلا بالصورة وما يتنوع منها في علم البيان ؛ أما الأسلوب من حيث هو فكرة وصورة مما قد سكنت عنه سكوت الجاهل به . وكان الظن بمن خلفوا عبد القاهر وأبا هلال وابن الأثير أن يقطنوا إليه بعد ما دلوم عليه بذكرهم بعض خصائصه الفنية وصفاته اللفظية ، وإن كان ما ذكره من ذلك جاء فطرياً لم يحتمر ، وخديجياً لم يكتمل ، وشائناً لم يحدد ، ومشوشاً لم يرتب ؛ ولكنهم مشوا عن تنبيه المسكري ، وعموا عن توجيه الجرجاني ، ومضوا على تحارم الأعمجية يفلسفون النحو والبلاغة لاشيء غير الفهاهة والحذقة . والأسلوب كما قال لهم ابن خلدون في مقدمته : « لا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب ، ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التركيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ... وإنما يرجع إلى صورة ذهنية

الفهرس

صفحة

دفاع عن البلاغة ... : أحمد حسن الزيات ...	٢٢١
الحديث ذو شجون ... : الدكتور زكي مبارك ...	٢٢٢
أمثلة ... : الأستاذ محمد محمد الدق ...	٢٢٦
وعصفور من الشرق أيضاً : الأستاذ دروي خشبة ...	٢٢٨
حانة الشمراء [قصيدة] : الأستاذ علي محمود طه ...	٢٣١
« سليمان الحكيم » ... : الأستاذ سيد قطب ...	٢٣٢
لنوفيق الحكيم
أثر المرأة في علي محمود طه : الأستاذ إدوارد حنا سعد ...	٢٣٥
ذو القرنين ... : الدكتور إبراهيم الدسوقي ...	٢٣٨
نظرات في كتاب ... : الأديب ذكربا إبراهيم ...	٢٣٩
ضبط الخلاف بين العربية ... : الأستاذ عبد الحميد صقر ...	٢٣٩
والنامية مستحيل
نزول عيسى ... : ...	٢٤٠

للتراكيب... وتلك الصورة يفتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالثقال والنوال، ثم ينتق التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فیرصها فيه رصاً كما يفعله البناء في القالب والنساج في المنوال حتى يتسع القالب بمحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام، ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه، فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة...» لذلك حسب المدفوعون بطبائهم عن موارد البلاغة من طول ماثرثروا حول الجمل والصور في عصور العجمة، أن الأسلوب سرد ألفاظ لا تسفر عن معنى، وحشد أسجاع لا تؤدي إلى غرض

إذن ما هو الأسلوب؟ الأسلوب هو طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة في اختيار الألفاظ وتأليف الكلام. وهذه الطريقة فضلاً عن اختلافها في الكتاب والشعراء تختلف في الكاتب أو الشاعر نفسه باختلاف الفن الذي يعالجه، والموضوع الذي يكتبه، والشخص الذي يتكلم بلسانه أو يتكلم عنه. ولكن الأساليب مهما اختلفت باختلاف الأفراد، وتنوعت بتنوع الأغراض، فإنها تنسم جميعاً بسماوات واحدة من عبقرية الأمة. ومنطق ذلك أن الصفات المشتركة في آحاد الأمة تتلاق وتتجمع فتكون خصائصها التي تميزها من سواها. وهذه الخصائص نفسها تنطبع في أمتها فتكون طرازاً عاماً في كل أسلوب

وعلى قدر ما تكون هذه الخصائص في الأمة تكون قابلية الأساليب فيها للاختلاف. فالصفات القومية في الأمة العربية كانت في جاهليتها شديدة الظهور والمموم حتى لم يكن بين صفات الفرد وصفات الجماعة إلا فروق لا تكاد تلاحظ. ومن ثم تشابهت أساليب الشعر والخطابة في ذلك العصر فلا تستبين فروقها الدقيقة إلا للناقد البصير. ومن اختلف أسلوبه من الشعراء الجاهليين فقد اختلف لحنه صفاته الخاصة، كأمية بن أبي الصلت وعدى ابن زيد. فلما جاء الإسلام أخذت هذه الفروق تتضح وتبين حتى بلغت غايتها من ذلك في العصر العباسي حين صارت اللغة العربية لغة الإسلام، والأدب العربي أدب الشرق والفنان العبقرى هو وحده الذي يستطيع أن يغلب صفاته

الخاصة على صفات قومه العامة فيتميز طابعه ويستقل أسلوبه. أما العاديون والمقلدون من حملة الرواسم^(١) وحفظه التعابير فتظل أساليبهم نسخاً منقولة عن الأصول العامة الموروثة لا يختلف بعضها عن بعض إلا بمقدار ما يختلف رسائل التجار وكتب الدواوين وهذه الصفات القومية العامة تميزت لغة من لغة، واختلفت أدب عن أدب؛ فاللغات الشرقية في جملتها تتميز من الغربية بالزخرف والأبهة والانتفاخ والتبجيل والتهويل والصوفية؛ لأن شعوبها صبغوها بهذه الأصباغ من صفاتهم الخاصة. والفروق المعروفة بين الفرنسية في وضوحها ودقتها، وبين الإيطالية في رخاوتها ورقتها، وبين الإنجليزية في خشونتها وقوتها، هي نفسها الفروق بين أصحاب هذه الأمم الثلاث في أصل الجهة وموروث الطبع وكما تؤثر صفات الأمة في طبيعة اللغة، تؤثر طبيعة اللغة في

أسلوب الكاتب؛ فاللغات التي اكتسبت من مدينتها أهلها رقة اللفظ وأناقاة العبارة، ومن شاعريتهم جمال الصور وروعة الأخيلا، تنفي الكاتب بموسيقاها وحلاها عن كد القريحة في ابتكار المعاني واستنباط الفكر. أما اللغات التي لم تؤثر الطبيعة حظاً موقوراً من سحر اللفظ وفتون الصياغة، فكتابتها مضطرون إلى أن يموضوا أساليبهم من ذلك، وجازة التعبير، ووزانة التفكير، ومدى القارى فيفيض من المعاني يشغله عن الفكر فيما فاتته من جمال الأسلوب واللغة العربية من النوع الأول، طبعها أهلها منذ القدم على موسقة الألفاظ، وتنوع المعاني بصور البيان، وتوفيق الجمل بالوان البديع، لا فرق في ذلك بين بدائها وحضارتها، ولا بين فصحاها وعاميتها، حتى اطمأن كثير من رجال القلم إلى أن يفخوا طبايعهم من جهد التفكير ويجاولوا امتلاك القلوب بروعة الأسلوب، فكانت المقالة أو القصيدة أشبه بالقطعة الموسيقية تحلب الأذن ولا يبلغ النفس والذهن منها غير رجوع ضعيف. ومن هنا قر في أكثر النفوس أن الأسلوب إنما يطلق على الجانب اللفظي من الكلام، حتى قال الأستاذ الراقى طيب الله ذكره: «فصل ما بين العالم والأديب، أن العالم فكرة، والأديب فكرة وأسلوبها» ففصل بين الفكرة والأسلوب، واعترف بالأسلوب للأديب وأنكره للعالم. ولعل أوفق إلى تصحيح هذا الرأي فيما يلي من هذا الحديث

(للكلام بقية)

بمحمد سعيد ومزيات

(١) الرواسم جمع رواسم وهو الكليشي